OPEN ACCESS
Hazara Islamicus
ISSN (Online): 2410-8065
ISSN (Print): 2305-3283
www.hazaraislamicus.com

Hazara Islamicus, Vol.:12, Issue:01,Jan -June 2023
PP: 1-16

أسلوب القسم في القرآن الكريم(دراسة بلاغية نقدية)

Style of Swear in the Holy Quran(Critical rhetorical study)

Mr. Shams Ud Din
Ph.D. Researcher Faculty of Arabic International Islamic University Islamabad

Dr. Habib Ullah Khan
Assistant Professor Faculty of Arabic International Islamic University Islamabad

Abstract

The purpose of this article is to explain some of the conditions of the swear sentence in the Holy Qur'an from the swear section and to explain its elements: Al- Muqasam, Al- Muqasam Behi, through two levels:

The first one is the formal construction and the structure of the composition and that which is related to it in terms of its determination and validation or omission of the elements and its formal attribution.The second is an analysis of these structures in the light of rhetorical parameters, and an attempt to highlight the possible rhetorical points, that depend on the use of these structures in their various forms of arrangements and trying to prove that a change in the formal structure requires a change in the semantics and the goal.And it has been studied that the use of this stylistic phenomenon could be the reason for multiple rhetorical considerations that differ according to the purpose for which the swear expressive imagery was given in its own particular construction. Perhaps one of the most prominent things that appeared to me from these purposes is due to the summary, precision, abridgment, and lightness of the word, and the appropriateness in rhyme and rhythm between the words of different kinds of swears and swear, vowels, or showing the aesthetic features of that particular swear type or contribution in taking the lesson, in addition to the general meaning of the swear, which is emphasis and prominence. And the swear beginning with "لا" has been discussed in a detailed manner. Eventually, I have mentioned the results which have been achieved in this research.

Keywords*: Al- Muqasam, Al- Muqasam Behi, emphasis, prominence*

قد أهمل البلاغيون دراسة أنواع الإنشاء غير الطلبي، لقلة ما فيها من أسرار بلاغية، واعتبروا أن هذه الصيغ في

CC BY

معظمها يعود إلى الخبر، وركزوا البحث في الإنشاء الطلبي؛ لما يمتاز به من لطائف ونكات بلاغية. وما من شك إذا أمعنا النظر، وأعدنا التدقيق، لوجدنا الحاجة ماسة لدراسة بعض هذه الأنواع غير الطلبية، لما تنطوي عليه من أسرار دفينة، ومعان عظيمة تثري البحث البلاغي العربي، وتزيد في اتساع دائرة التذوق الأدبي، وتضيف لبنات جديدة في صرح البلاغة العربية الشامخ.

هذا ما أشار إليه الدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود بقوله: "وهذا لايعني أن تلك الأساليب خالية من الاعتبارات البلاغية والمزايا الجمالية، بل تكمن وراءها ملاحظات بلاغية واعتبارات دقيقة، انظر إلى أسلوب التعجب في التعبيرات الجيدة تجد وراءه كثيراً من الدقائق واللطائف، التي يتوهج فيها الإحساس بالأشياء والمعاني.

وتأمل أسلوب القسم في القرآن الكريم وتعدد مواقعه واختلاف المقسم به وأجوبة القسم تجد وراء ذلك اعتبارات جديدة بالبحث والدراسة.

وهكذا تجد وراء كثير من أساليب الإنشاء غير الطلبية مزايا واعتبارات تستحق الدراسة والتأمل".[1]

فقد حاولت في هذا المقال استخراج بعض لطائف صيغة القسم ودقائقها في نواحيها البلاغية، آخذين في الاعتبار، بروز أهمية هذا الأسلوب من خلال تنوع أركانها الثلاثة، الذي يستدعي تنوعاً في الدلالات، والعلاقات في النصوص القسمية.

وتتخذ هذه الدراسة من القرآن الكريم منهلاً عذباً، وأساسًا تقوم عليه، لما ينطوي عليه هذا الكتاب العظيم من تنوع في إبراز الصيغ القسمية في أشكالها المتعددة، ولاعتباره المثال الذي يحتذى به في النماذج البلاغية عند الكتاب والدارسين من أهل الفن القولي والأدب العربي الأصيل.

أركان القسم:

يتكامل البناء الفني (الشكلي) لصيغة القسم، عند اجتماع أركانه الأربعة التي تشتمل على عنصرين أساسين في موقع القسم هما: المقسم والمقسم به، وعنصر ثالث هو مايسمى جملة جواب القسم، ولا يوجد القول بدون قائل، ويقال لقائل الجملة القسمية المقسِم، تفصيلها كالآتي:

الركن الأول: المقسِم: وهو إما الله، وإما العباد. أما القسم من الله: فقد قيل: مامعنى القسم منه –تعالى–؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن، فالمؤمن مصدق بمجرد اللإخبار من غير قسم. وإن كان لأجل الكافر، فلا يفيد.

والجواب: إن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القسم إن أرادت أن تؤكد أمراً، كما أن الحكم يفصل باثنين، إما بالشهادة، وإما بالقسم.

الركن الثاني: المقسَم به: ولمجيئه في القرآن الكريم غرض هو أنه قد يكون شيئا علوياً بعيداً عنا يثير الرهبة والعظمة والجلال، ويدعونا ذكره والقسم به إلى أن يثير لدينا الفضول العلمي، وحب الاستطلاع، فأخذ في توجيه أنظارنا إليه بالبحث والدرس والتحليل، ومحاولة تسخيره لمنافعنا، وذلك كالسماء، ومافيها شمس، وقمر، ونجوم، ومظاهر كونية كثيرة، فالقسم بهذه الكائنات العلوية، يدفع الناس إلى البحث والتنقيب، وهذا ماتدل عليه الآيات القرآنية، منها قوله –تعالى–: قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ[2].

الركن الثالث: جواب القسم أو المقسَم عليه: الغالب في المقسَم عليه أن يكون في الكلام؛ لأنه المقصود بالتحقيق،

وقد يحذف كما يحذف جواب "لو" إما للعلم به، أو لتذهب النفس فيه كل مذهب.

الركن الرابع: للقسم أدوات منها: "الباء، والواو، والتاء، واللام، ومِن" والذي يعنينا من هذه الأدوات هي الحروف الثلاثة الأولى، إذ لم ترد "اللام" أو "من" للقسم في القرآن الكريم.

أولها: الباء، وهي الأصل في أدوات القسم، وهي حرف جر يأتي لأربعة عشر معنى، ذكر معانيها صاحب الجنى الداني وقال: "الثاني عشر: القسم نحو: بالله لأفعلنَّ. وهي أصل حروف القسم، ولذلك فُضلت سائر حروفه بثلاثة أمور:

أحدها: أنها لا يجب حذف الفعل معها، بل يجوز إظهاره، نحو: أقسم بالله.

والثاني: أنها تدخل على المضمر، نحو: بك لأفعلنَّ.

والثالث: أنها تستعمل في الطلب وغيره، بخلاف سائر حروفه، فإن الفعل معها لا يظهر، ولا تجر المضمر، ولا تستعمل في الطلب".[3]

خلاصة قوله أن حرف الباء يتميز من بقية حروف القسم بما يأتي:

1. جواز إثبات فعل القسم وفاعله مع الباء أوحذفهما نحو: أقسم بالله لأعاونَّ الضعيف، أو بالله لأعاونَّ الضعيف، أما غير الباء فيجب معه حذف فعل القسم وفاعله.
2. جواز أن المقسَم به بالباء اسماً ظاهراً أو ضميراً بارزاً نحو: برب الكون لأعلمنَّ على نشر الإسلام، أقسم به إني لصادق، أما غير الباء فلا يجر إلا الظاهر.

وهذا الفهم قد توصل إليه من قبل بعض أهل العلم؛ قال العلامة الزركشي: "وفي القرآن الكريم نجد أن أكثر الأقسام المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت الباء، أتى بالفعل كقوله –تعالى–: وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ[4] ، وقوله –: يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ[5] ، ولا تجئ الباء والفعل محذوف إلا قليلاً".[6]

ثانيها: الواو وهي أكثر حروف القسم استخداماً، ويتميز من غيره فيما يأتي:

1- **تنوع المقسم به بعده من حيث كونه:**

أ– لفظ الجلالة (الله). ب– لفظ الجلالة (الرب). ج– مخلوقات ربانية عظيمة.

وجواز تنوع المقسم به بعد الواو يجعل كثيراً من صور التعبير القسمي سليمة صحيحة، بخلاف الحروف الأخري المقيدة ببعض الصور التعبيرية، فإنه لايقال: تربك، ولا تَزيدِ، ولا تالشمس، ولا يقال: بالشمس، ولا بزيد، وغير ذلك من الصور على معنى القسم، مع جواز أن يكون ذلك كله بالواو فتقول: وربك، وزيد وغير ذلك من الصور.[7]

2– كثرة الاستعمال: فهذا الحرف يعد أكثر حروف القسم استخداماً، وهذه الميزة ناتجة عن الميزة الأولى، إذ إن تنوع المقسم به ودخوله على كل محلوف يجعل استخدامه أكثر من غيره في باب القسم، وقد ورد في مجال القسم في كتاب الله – عزوجل– في أكثر من أربعة وخمسين موضعاً.

أما عن النكتة في ورود القسم بالواو بهذه الكثرة فيعود إلى خفة حرف الواو عند النطق به قياسياً إلى غيره من حروف القسم كالباء والتاء واللام، حيث يعد حرفاً هوائياً شفوياً لا يحتاج إلى بذل جهد عند النطق به.

ثالثها: التاء: وعن كيفيات استعمالها في اللغة يحدثنا أهل اللغة والنحو، قال الفيروز آبادي في قاموسه: "والمحركة في أوائل الأسماء حرف جر للقسم، ويختص بالتعجب، وباسم الله –تعالى–، وربما قالوا: تربى، وترب الكعبة، وتالرحمن وتحياتك".[8]

قال الزجاجي: "ولا تدخل التاء إلا على لفظ الجلالة "الله" –عزوجل–" .[9]

وقد اجتمعت هذه الأركان الأربعة في قول الراجز عبدالله بن كيسية:

وأقسم باللهِ أبو حَفصٍ عُمَر ما مسَّها من نَقَبٍ ولا دَبَر

فقد اجتمع في هذا الشعر المقسِم (أبو حفص عمر)، والمقسم به "لفظ الجلالة"، أداة القسم وهي الباء وجواب القسم "ما مسها من نقب....." وتسمى هذه الجملة أحياناً بالمقسم عليه، فالصيغة القسمية تتمثل في بنائها الشكلي المتكامل بذكر فعل القسم متعدياً إلى المقسم به بالباء ثم الإتيان بالمقسم عليه "جواب القسم"، وقد ورد هذا التكامل في القرآن الكريم في عدة مواضع منها: فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ[10] ، وقوله –تعالى–: وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ[11] ، ومواضع أخرى.

ومن خلال التتبع الإحصائي لهذه الصيغة في شكلها المتكامل تبين أنها وردت في القرآن الكريم أربع عشرة مرة على النحو التالي:

1– صيغ الماضي:

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ.[12]

وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ.[13]

وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ.[14]

وعند تحليل مستوى الخطاب الفعلي من حيث الزمن، نجد أن كل ما ورد في الصور السابقة، لا يخرج فعل القسم عن صيغة الماضي مسنداً إلى واو الجماعة، على اختلاف في مرجعية هذه الواوات، ففي سورة المائدة نجد أن ضمير الواو يعود إلى المنافقين، وفي سورة الأنعام يعود إلى كفار قريش، والمراد من الواو في الآية المأخوذة من سورة النحل المشركين، أما الآية الرابعة فالضمير الواو فيها يعود إلى المنافقين، ومرجعها في الآية الخامسة –وهي آية سورة فاطر– كفار قريش.

والخلاصة أنه لم يتحقق أي: من أجوبة القسم التي أشارت إليها الآيات، ففي جميها دليل على كذب هذه الأنواع، من المنافقين، والمشركين، وكفار قريش، ومنكري البعث.

وعند تحليل مستوى الخطاب في إطاره الشكلي، نجد ثبات صورة الماضي المثبت على نمط واحد في حيز القسم، وأن التغاير وقع في حيز جواب القسم فقط؛ فقد تعدد الجواب ما بين إثبات المعية في سورة المائدة، والإيمان بالآيات في سورة الأنعام، وإنكار البعث في سورة النحل، والمشاركة في الخروج والقتال في سورة النور، وأخيراً الاهتداء في سورة فاطر.

2ـصيغ المضارع المثبت:

إذا كانت صور الماضي المثبت قد وردت من خلال خمس آيات، فإن صيغ المضارع المثبت من مادة "ق س م" لم ترد إلا من خلال آيتين اثنتين في سورة المائدة هما: قوله –تعالى–: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ [15]، وقد تبين المراد والغرض من هذا القسم في الآية بعدها، وهي:

قوله –تعالى–: ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ.[16]

من خلال الوقوف على معنى الآيات الكريمة يتبين لنا إمكانية جعل القسم بصيغ مختلفة، من ماض إلى أمر، ولكننا نجد أن النص القرآني قد استخدم هذه الصيغة الخاصة "يقسمان" وهي المضارع المتصل بياء الغيبة، وأسقط استعمال تاء الخطاب أو نون التكلم فلم يقل فتقسمان، ولا فنقسم، ولا فليقسما، ولا أقسما لسر بلاغي: وهو تصوير تلك الأحداث التي وقعت في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم–عندما استحلف النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد صلاة العصر تميم الداري وعديَّ بن بدَّاء فحلفا، وظاهره أنهما كذبا في حلفهما، وكذلك عندما استحلف ورثة بُديل قائلين أن الجام لبُديل عندما رأوه في السوق بعد رفع القضية إلى حضرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– مرة أخرى، فسألهما من أين لكما الجام ؟ قالا: اشتريناه من بُديل.

بعد دعوى تميم الداري وعدي شراء الجام أصبحت القضية على عكس السابق فطلبت منهما البينة ومن الورثة القسم.

وتعليم المسلمين جميعاً لو تكرر عليكم الأحوال مثل حالات ورثة بديل فامتثلوا التعليمات المحتوية عليها الآية الكريمة.

وهذا الغرض لا يحصل إلا بالصيغة والتعبير الموجود في الآية الكريمة فافهم.

3ـصيغ المضارع المنفي:

1- فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ.[17]

2- فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ.[18]

3- فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ.[19]

4- لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ .[20]

الملاحظ أن استخدام القسم المنفي قد جاءت جميع صوره على وزن أفعل، أي: صيغة المضارع المتكلم المفرد مع"لا" النافية، وقد ورد المقسم به في كل هذه الآيات الكريمة مسبوقاً بأداء النفي "لا"، في ستة منها هي مقترنة بالفاء وفي موضعين غير مقترنة بالفاء، قد درس المفسرون هذا النوع من المقسم به في تفاسيرهم بالبسط والتفصيل، ويمكن أن نجمل حديثهم عنه فيما يلي:

الرأي الأول: أن "لا" في هذه الآيات الكريمة لنفي القسم.

فكأن الله –تعالى– يريد أن يقول: لا أقسم بهذه الأشياء لإثبات المقسم عليه، فهو أعظم وأجل من أن يقسم عليه بالمقسم به الموجود في الآيات الكريمة.

ويكون الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه، وتفخيم شأنه، أو يكون الغرض إثبات أن المقسم عليه أظهر وأجل وأقوى من أن يحاول إثباته بمثل هذا القسم، وهذا هو رأي الإمام فخر الدين الرازي.

الرأي الثاني: أن "لا" هذه إذا وقعت خلال الكلام، كقوله –تعالى–: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ[21]، فهي صلة تزاد لتوكيد القسم، مثلها في قوله –تعالى–: لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن

فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ[22]، لتأكيد وجوب العلم.

هذا ما أشار إليه العلامة الزمخشري: "لئلا يعلم" ليعلم "أهل الكتاب" الذين لم يُسلموا ولا مزيدة".[23]

وإذا وقعت ابتداء أي: في بداية الآية كما في سورة القيامة، وسورة البلد فهي للنفي؛ لأن الصلة لا تكون في أول الكلام.

هذا ما أشار إليه العلامة الزمخشري: "والوجه أن يقال: هي للنفي، والمعنى في ذلك أنه لا يُقسم بالشيء إلا إعظاماً له، يدُّلك عليه قوله –تعالى–: فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ[24] ، فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إن إعظامي له بإقسامي به كلا إعظامٍ يعني أنه يستأهل فوق ذلك".[25]

رأي الإمام فخر الدين الرازي مرجوح لقول الله –سبحانه وتعالى– في سورة الواقعة: وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ بعد قوله فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ.[26]

فهذه الآية الكريمة تدل على إثبات القسم، لا على نفيه، ولكن هذه الآية ليست بمنافية لرأي العلامة الزمخشري والعلامة أبي سعود؛ لأن "لا" ولو للنفي عندهما، ولكنها ليست لنفي الإقسام نفسه، بل هي لنفي الخبر الضمني وهو الإخبار عن تعظيم المقسم به الذي يتضمنه إنشاء القسم. وعد البعض هي لتوطئة وتمهيد المقسم عليه في الآيات التي جواب القسم فيها منفي من هذه الآيات الثمانية.

وهذا هو الرأي السديد لديَّ لعدم وجود المناقض له، وقد وصلت إلى هذه النتيجة بعد إمعان النظر في أراء العلماء البيانيين والمفسرين العظام حول "لا" في الآيات الثمانية والله أعلم بالصواب.

أما كون "لا" زائدة لتوكيد القسم، والقائلون بها ابن خالوية وأبو علي الفارسي والعلامة الزمخشري كما ذكرت سابقاً، وقال العلامة الزمخشري في تفسير الآية الأولى من سورة القيامة: "إدخال "لا" النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم، قال امرؤ القيس:

لا وأبيكِ ابنةَ العامِرِيِّ لا يدَّعى القومُ أنِّي أفِرُّ [27]

وقال غُوَيَّة بن سلمى:

ألا نادتْ أمامةُ باحتمالِ لتحزُنَني فلا بكِ ما أُبالي[28]

وفائدتها توكيد القسم، وقالوا إنها صلة مثلُها في لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ .[29] وفي قوله:

في بئرٍ لا حُورٍ سَرَى وما شعر بإفكه حتى رأى الصبحَ جَشَر[30]

وأشار إليه العلامة الزمخشري في تفسيره الكشاف: "فإن قلت: قوله –تعالى–: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا[31] ، والأبيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي. فهلا زعمت أن "لا" التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له،وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفياً كقولك: لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى.

قلتُ: لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغٌ، ولكنه لم يقصر ألا ترى كيف لَقِي لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ[32]، بقوله: لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ[33] وكذلك فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ[34]، بقوله إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ

كَرِيمٌ.[35]

وفي رأي أحمد بن محمد ابن المنير الإسكندري كلمة "لا" موطئة وتمهيد لنفي المقسم عليه في الآيات التي المقسم عليه فيها منفي من الآيات الثمانية المذكورة سابقًا منها: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا[36] ، فقال في تحليل هذه الآية الكريمة مبيناً قول العلامة الزمخشري كذلك: "والظاهر عندي والله أعلم أنها هنا لتوطئة النفي المقسم عليه والزمخشري لم يذكر مانعاً من ذلك. وحاصل ما ذكره مجيئها لغير هذا المعنى في الإثبات، وذلك لا يأبى مجيئها في النفي عن الوجه الآخر من التوطئة على أن في دخولها على القسم المثبت نظراً، وذلك أنها لم ترد في الكتاب العزيز إلا مع القسم حيث يكون بالفعل مثل: لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ[37]، لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ[38]،فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ[39] ،فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ[40] ، فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ [41]، ولم تدخل أيضاً إلا على القسم بغير الله –تعالى– ولذلك سرّ يأبى كونها في آية النساء لتأكيد القسم ويعين كونها للتوطئة، وذلك أن المراد بها في جميع الآيات التي عددناها تأكيد تعظيم المقسم به، إذ لا يقسم بالشئ إلا إعظاماً له، فكأنه بدخولها يقول: إن إعظامي لهذه الأشياء بالقسم بها كلا إعظامٍ، يعني: أنها تستوجب من التعظيم فوق ذلك، وهذا التأكيد إنما يؤتى به رفعًا لتوهم كون هذه الأشياء غير مستحقة للتعظيم و للإقسام بها فيزاح هذا الوهم بالتأكيد في إبراز فعل القسم مؤكداً بالنفي المذكور، وقد قرر الزمخشري هذا المعنى في دخول (لا) عند قوله –لا أقسم بيوم القيامة– على وجه مجمل هذا بسطه وإيضاحه، فإذا بين ذلك فهذا الوهم الذي يراد إزاحته في القسم بغير الله مندفع في الإقسام بالله فلا يحتاج إلى دخول لا مؤكدة للقسم فيتعين حملها على الموطئة، ولا تكاد تجدها في غير الكتاب العزيز داخلة على قسم مثبت، وأما دخولها في القسم وجوابه نفي فكثير، بل هو أكثر من أن يحصى فتأمل هذا الفصل فإنه حقيق بالتأمل" .[42]

الرأي الثالث: إن "لا" نافية لكلام سابق ثم استأنف القسم.

وتحقيقه في قوله –تعالى–: لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ[43] ، أن "لا" نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث، أي ليس الأمر كما زعموا، ثم ابتدأ: أقسم بيوم القيامة.

وترى الدكتورة عائشة بنت الشاطئ: أن هناك سرّاً بيانياً في هذا الأسلوب، يتمثل في أن النفي مسلط على الحاجة إلى القسم، لا إلى نفي القسم فتقول بعد أن تفند مجموعة من آراء السابقين، مستنبطة هذا الفهم من خلال تحليل النصوص القرآنية يقول: " أفلا يهدينا تدبر سياق آيات "لا أقسم" لله –تعالى– وحده، إلى سر البيان في "لا" تنفي حاجته –جل جلاله– إلى القسم؟ بلى، وإنما نحتاج نحن البشر إلى أن نقسم دفعاً لمظنة اتهام، أو إزاحة الشك، ومن ثم نلمح سر العربية إذ تستعمل هذا الأسلوب، حيث تنفي الحاجة إلى القسم في مواضع الثقة واليقين، وفرق بعيد أقصى البعد بين أن تكون "لا" لنفي القسم –كما قال بعضهم – وبين أن تكون لنفي الحاجة إلى القسم كما يهدي إليه البيان القرآني، ومن نفي الحاجة إلى القسم يأتي التوثيق والتقرير؛ لأنه يجعل المقام في غنى بالثقة واليقين عن الإقسام. والسر البياني لهذا الأسلوب، يعتمد في قوة اللفظ على ما يبدو بين النفي والقسم من مفارقة مثيرة لأقصى الانتباه، وما نزال بسليقتنا العربية نؤكد الثقة بنفي الحاجة معها إلى القسم فنقول لمن تثق فيه، لا تقسم أو: من غير يمين، مقرراً بذلك أنه موضع ثقتك فلست بحاجة إلى أن يقسم لك، كما تقول لصاحبك: لا أوصيك بكذا تأكيداً للتوصية.... بنفي الحاجة إليها".[44]

خلاصة ما سبق:

1- ليست "لا" في هذه الآيات الثمانية نافية للقسم، ولا رد لكلام سابق، وليس المراد منها نفي الحاجة إلى القسم ، ولا هي لام ابتداء أشبعت فتحتها فتولدت عنها ألف، وهي لام القسم، وليست زائدة.

2- إن "لا" توطئة وتمهيد للمقسم عليه المنفي في الآيات التي جواب القسم فيها منفي من هذه الآيات الثمانية، كما في قول الله -تعالى-: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا[45] ، جواب القسم في هذه الآية منفي وهو "لا يؤمنون".

ولنفي الخبر الضمني وهو تعظيم المقسم به – الذي يتضمنه إنشاء القسم في الآيات التي جواب القسم فيها مثبت من هذه الآيات الثمانية.

و"لا" في آيتين من سورتي القيامة والبلد للاستفتاح ولفت الانتباه إلى أن القسم بيوم القيامة ومكة المكرمة قسم عظيم، كما أن القسم بالنفس اللوامة التي ركبها الله في عباده قسم عظيم أيضاً، فنفس المؤمن تلومه عند كل معصية، ونفس الكافر تلومه بعد فوات الأوان وخاصة عند الغرغرة فتصبح من أسباب عذابه وقت الحسرة والندم.

وهذا ما أشار إليه السعدي في تفسيره تحليلاً لقوله –تعالى-: لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ [46]، ليست "لا" ههنا نافية، ولا زائدة، وإنما أتى بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها ولكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها، وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح".[47]

4–صيغ الأمر:

أسلوب الأمر يمكن أن يأتي على عدة صور:

الأولى: من خلال فعل الأمر المباشر كقوله –تعالى-: يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ قُمۡ فَأَنذِرۡ .[48]

الثانية: من خلال الفعل المضارع المقترن بلام الأمر كقوله –تعالى-: لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ[49]

الثالثة: من خلال المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله –تعالى-: وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا .[50]

قد وردت صيغة القسم متكاملة في شكلها الأمري مرة واحدة في القرآن الكريم، وهو من خلال قوله –تعالى- حكاية عن النفر الذين عقروا الناقة من قوم صالح –عليه السلام-: قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ [51].

وتوضح الصيغة أن الطلب كان منهم جميعاً لهم جميعاً، بدليل صيغة "تفاعل" قالوا: تقاسموا، وذلك حتى لا يختلف أحد عن الخطة المزعمة في الإيقاع بصالح–عليه السلام–وأهله ليلاً، وجعلها سرّاً مكتوماً لا يذيعونه ولا يتناقلونه، والعرب عندما يعوزها مثل هذه الأمور العظيمة تلجأ إلى توكيده بالقسم بمعظم وتطلب ذلك.

5– صيغ النهي:

للنهي في اللغة العربية صيغة واحدة وهي: المضارع المقرون بلا الناهية الجازمة كقوله –تعالى– :وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ .[52]

صيغة القسم متكاملة على معنى النهي لم ترد في القرآن الكريم ولو مرة واحدة، والتي وردت فهي صيغة غير متكاملة محذوفة المتعلق ألا وهي: قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ[53]، والمعنى لا تقسموا بالله.

وواضح أن حذف المتعلق هنا، لئلا ينصب النهي عليه باعتباره أحد متعلقات الفعل "تقسموا" فلو قال "لا

تقسموا بالله لكان النهي عن القسم بالله، وجواز القسم بغيره، مع أن المراد نفي إصدار القسم منهم، لا نفي كونه بالله، والله أعلم.

علمًا بأن النهي في هذه الآية بالمعنى الحقيقي وهو: طلب كف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام؛ لأن الناهي هو الرسول –صلى الله عليه وسلم– بأمر من الله، وأما الإلزام فهو من جهة امتثال المخاطبين لذلك النهي.

قد تبين مما سبق أن الصورة المتكاملة المعيارية للقسم هي توفير عناصرها الأربعة المقسِم، المقسَم (صيغة القسم)، المقسم به، وعليه، وأدوات القسم في الجملة القسمية، وهو ما يمكن أن نطلق عليه عندئذ بمصطلح المساواة؛ حيث تكون الألفاظ في الجملة على قدر المعاني فيها، والمتصوّر في الذهن أنه لا يعدل عن تمام الأركان السابقة في الجملة القسمية، والانحراف عنه إلا توسعاً على الأصل المعياري، فلا يصار إليه إلا لسر من الأسرار أو نكتة من النكات.

من هنا سنبحث عن هذا الانحراف؛ لنطلع ما تبعه من تغيّر في الدلالة أو تنوع بها، بادئين بالمقسَم.

المقسَم (صيغة القسم) والمقسم به:

وهو الركن الأول من أركان الجملة القسمية، غالباً ما يأتي مشتقاً من مادة "ق س م" وقد يأتي مما يحمل نفس المعنى، كالحلف واليمين والعهد. والذي يعنينا في هذا البحث هو مادة "ق س م" وذلك لأنها نص في اليمين، حيث يغلب استعماله فيها حتى لا يستعمل اليمين فيها إلا مع قرينه تدل على ذلك كذكر المقسم عليه، انظر مثلاً إلى قول العرب "عهد الله" فقد كثر استعماله في غير القسم قال –تعالى–: **وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ**[54]، وقولهم: عهد الله يجب الوفاء به، فلا يفهم من ذلك قسم، أما إذا قلت: "عهد الله لأفعلنه" فقد فهم منه القسم بطريقة ذكر المقسم عليه.

وعند التحقيق يتبين لنا أيضاً: أن مادة "ق س م" تأتي في القرآن الكريم متصلة بالمقسم به متعدية إليه بحرف الجر الباء، ومن الأمثلة على ذلك قوله –تعالى–: **أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ**[55] **قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ**[56]،**فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ**[57] ، **وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ** [58]، أما السر في هذا التلازم فيمكن –والله أعلم– في أن مادة "ق س م" وهي نص في القسم، ولا يصار فيها إلى معنى آخر، كما أن القسم لا يكون إلا بالعظيم من الأمور، ولا عظيم قياساً إلى لفظ الجلالة فكان هو –سبحانه– المتعلق.

وعند البحث عن النكتة في هذه المخالفة الشكلية، يتضح لنا أن السر في حذف المتعلق "الله" (المقسَم به) يعود إلى أن كلتا الآيتين ورد القسم فيها على ألسنة الكفار والمنافقين، وهو قسم مجاف للصواب غير متحقق، فتنزيها للفظ الجلالة عن الاقتران بقسمٍ كذب، حذف المتعلق "بالله".

ومن المعلوم أن سر ذكر فعل القسم مقترناً بالمتعلق لفظ الجلالة، هو إظهار وقوع القسم من المقسم على وجه التأكيد والعلم اليقيني لما يعتقد به، وأنه محقق الوقوع غير قابل للنقض في نفس المقسم، وذلك لاستدرار قبول المخاطب الحكم المتضمن في الجواب (جواب القسم).

ويؤكد ما ذهبنا إليه من أن الاقتران بين فعل القسم والمقسم به لفظ الجلالة، يراد به الاعتقاد اليقيني للمقسم لاستخراج الشك والريبة من نفس المقسم له (المخاطب).

فقد عرف عن العرب أنها إذا أرادت أن تأتي بالأمر على وجه التأكيد استخدموا الحلف والقسم بالله –سبحانه

وتعالى–، لا بالأصنام ويتبين ذلك من خلال قوله –تعالى–: قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ.[59]

فالمتقاسمون من أعداء الله وهم الرهط من قوم صالح –عليه السلام– المتآمرون على قتله –عليه السلام– وعقر الناقة، والأمر المتقاسم عليه (جواب القسم) فعل شائن كفري لا يرضاه الله، ومع ذلك، فإنه لم يرضوا من بعضهم بعضاً لإثبات صدقهم والتزام ما يذهبون إليه إلا القسم، وأن يكون المقسم به الله لا الأصنام. وقد يعود حذف المتعلق (المقسم به) لأمور أخرى تظهر من خلال السياقات، منها:

1- **الاختصار: يمكن أن نمثل له بقوله -تعالى-: أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ[60]، فقد حذف المتعلق "بالله" للاختصار حيث ذكر لفظ الجلالة "الله" في قوله "يَنَالُهُمُ اللَّهُ" والتقدير أقسمتم بالله لا ينالهم الله، إذ تكرار لفظ الجلالة في النص يخرجه عن الدرجة العليا من البلاغة.**

2- **سبق ذكره: كما في قوله -تعالى-: قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ[61]، فقد سبق ذكر لفظ الجلالة بقوله: وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ.[62]**

الحذف لمنع المجاورة مع غير مرغوب فيه، كقوله: **وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ[63]**، فإن الحذف هنا لئلا يتجاور لفظ الجلالة مع اسم المجرمين؛ وذلك للتفاوت العظيم بين منزلة الله، ومن ذكر، فلم يقل: يقسم المجرمون بالله، ولا يقسم بالله المجرمون.

حذف فعل القسم من مادة "قسم".

إن كثرة استعمال القسم في القرآن الكريم، جعل منه ظاهرة واضحة للعيان، وهذه الكثرة تستدعي أحياناً حذفه والاستغناء عنه، ولمّا كان الحذف بالعربية لا يصار إليه إلا بدليل، فقد دلوا عليه كثيراً باللام الموطئة للقسم، ومن ذلك قوله: **لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا[64]**، وقوله –تعالى–: **قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ[65]**، وكذلك الحال في حذف فعل القسم من مادة "قسم" نجد أنه يشكل ظاهرة قرآنية شملت مجموعة من مقدمات السور، ولا سيما في الجزء الأخير منه وعلى سبيل المثال: سورة الفجر والتين والضحى والعاديات والبروج والطارق إلخ، على تقدير، أقسم بالفجر، وأقسم بالتين وهكذا.

وإذا علمنا أن النكتة في حذف المسند –عند علماء البلاغة– تعود إلى: إما تخيل العدول إلى أقوى الدليلين، أو اختبار تنبه السامع عند قيام القرينة، أو مقدار تنبه، أو الاختصار أو الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر.

فإننا نجد أن معظم هذه الأسرار تنطبق على حذف المسند "أقسم"؛ فيمكن اعتبار الحذف عدولاً إلى أقوى الدليلين، والأقوى هنا: هو دليل شهادة العقل لا شهادة اللفظ؛ فإذا قال **–تعالى–: وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ .**[66]

يحكم العقل بأن المراد القسم بقرينه الواو، وهو إذ يحذف فعل القسم، ويقيم مقامه الدليل (الواو)، يثير مقدار تنبيه السامع أو يختبر تنبهه وبخاصة إذا تقدم في الكلام ما يوطد له.

ومعنى الاختصار أيضاً واضح في حذف جزء من جملة القسم.

أما الاحتراز عن العبث، فهو أيضاً ظاهر في أن هذه المواطن يعد ذكر المسند فيها بلا فائدة؛ فذكره مدعاة للقول بالعبث مع إمكانية الاستغناء عنه وكتاب الله مرفوع عن أن يكون فيه عبث، قال –تعالى–: **كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ.**[67]

الأمور المقسم عليها في القرآن الكريم:

الأول: تثبيت أساس التوحيد.

الثاني: تقرير أمر النبوة، والإرشاد بصدق الكتاب الحكيم.

الثالث: إثبات الحياة الأخرى، وما يتصل بها من حساب، فثواب أو عقاب.

أما الأصل الأول وهو تثبيت أساس التوحيد، فيدخل تحت هذا الأصل قوله –تعالى–: وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ.[68]

قال الشيخ طه الراوي: "أقسم –تعالى– بنفوس الغزاة التي تقاتل في سبيل الحق متحدة مع بعضها كالبنيان المرصوص.

وبهذا الاتحاد والتراص تُزجر المبطلين، وتهديهم إلى سبيل الرشد، أقسم على أنه لا معبود بحق إلا إله واحد لا شريك له، فهو قسم بالمتحدين على ثبوت التوحيد، وفيه إشارة إلى أنه كما أن القوة والنجاح وليدة الاتحاد، فكذلك وحدانية الصانع، وانعدام الشريك هي السبب في إبداع هذا الكون، وإحكام نظامه، إذ لو كان مع الله آلهة أخرى لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، وبذلك يختل نظام الكون، وتندثر معالمه".[69]

وأكثر المفسرين على أن المراد بالصافات، والزاجرات، والتاليات، جماعة من الملائكة موصوفة بهذه الصفات، وهو الأظهر والأرجح، إذ تؤيده الآيات القرآنية، فقد جاء وصف الملائكة بأنهم صافون في قوله–تعالى– وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ[70] في نفس السورة.

ومما جاء في الأصل الثالث:

في إثبات الحياة الأخرى، وما يتصل بها من حساب، فثواب أو عقاب، قوله –تعالى–: وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ[71]، أقسم الله –جل شأنه– بأمور أربعة على أن ما توعد به من البعث، وأمر الساعة حق، وعلى أن الدين وهو الجزاء، من ثواب أو عقاب، واقع لا محالة، فهو قسم على البعث، وعلى الجزاء.

قال الإمام فخر الدين الرازي: "الأمور الأربعة –التي أقسم الله بها هنا– جاز أن تكون أموراً متباينة، وجاز أن تكون أمراً له اعتبارات أربع، الأول: أن الذاريات هي الرياح، والحاملات: هي السحاب، والجاريات: هي السفن، والمقسمات: هي الملائكة الذين يقسمون الأرزاق.

والثاني: وهو الأقرب: أن هذه صفات أربع للرياح، فالذاريات: هي الرياح التي تنشئ السحاب، والحاملات: هي الرياح التي تحمل السحب التي هي بخار المياه. والجاريات: هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حملها. والمقسمات: هي الرياح التي تفرق الأمطار على الأقطار".[72]

وعلى هذا تكون الفاء لبيان ترتيب هذه الصفات في الوجود، فإن الذاريات تثير البخار، فينعقد سحاباً، فتحمله الرياح، فتفرقه على الأقطار.

والمقسم عليه: صدق الموعود من البعث والنشور، ووقوع الحساب، فالثواب أو العقاب. فالمناسبة بين المقسم به، والمقسم عليه واضحة، فالقادر على تأليف السحاب من ذرات البخار بواسطة الرياح الذارية، ثم إعادته بعد ذلك إلى سيرته

الأولى، قادر على إعادة الإنسان، وتأليف أجزائه المتفرقة.

من خلال هذا المقال توصلت إلى النتائج الآتية:

1- البناء الفني (الشكلي) لأسلوب القسم يتكامل عند اجتماع أركانه الأربعة وهي: المقسِم، المقسَم به، المقسَم عليه (جواب القسم)، وأدوات القسم، علماً بأن هذه هي الصورة المعيارية لأسلوب القسم، وإن أي تغيير يطرأ على هذا البناء الشكلي سواء أكان حذفاً، أو زيادة أو غير ذلك من أنواع التغيير، تعد اتساعاً وانحرافاً، ولا يصار إليه إلا لغرض وسر من الأسرار البلاغية والنكات الفنية.

2- "لا" في آيات "لا أقسم" عددها ثمانية ليست نافية، ولا لرد كلام سابق، وليس المراد منها نفي الحاجة إلى القسم، ولا هي لام الابتداء أشبعت فتحتها فتولدت عنها ألف، ولا هي لام القسم، وليست زائدة.

3- وردت صيغة القسم متكاملة في شكلها الأمري مرة واحدة في القرآن الكريم؛ لأن القسم يفيد معنى التوكيد، وهو يحتاج أحياناً أن يكون في أسلوب واضح مباشر الدلالة فلا يحتمل أن يكون بأساليب غير مباشرة كما رأينا في بعض دلالات الخبر على الأمر في بعض الآيات القرآنية.

4- صيغة القسم متكاملة على معنى النهي لم ترد في القرآن الكريم أصلاً، والتي وردت في آية من سورة النور فهي صيغة غير متكاملة محذوفة المتعلق أي المقسَم به محذوف فيها.

5- يحذف المقسم به في أسلوب القسم للأمور الآتية: الاختصار، سبق ذكره، لمنع المجاورة مع غير مرغوب فيه، لكون القصد يتعلق بالقسم وحده لا بالمقسم به.

6- يتميز حرف الباء من الواو بما يأتي:

1- جواز إثبات فعل القسم وفاعله مع الباء أو حذفهما.

2- جواز أن يكون المقسم بالباء اسماً ظاهراً أو ضميراً بارزاً.

7- الواو أكثر حروف القسم استخداماً ويتميز من غيره فيما يأتي:

1- تنوع المقسم به بعده من حيث كونه: لفظ الجلالة (الله)، لفظ الجلالة (رب)، مخلوقات ربانية عظيمة.

هذا وبالله التوفيق

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الهوامش (*References*)

[1] – علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، الدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود، الطبعة الرابعة ، عام2015م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة _مصر_ ص 353.

[2] – سورة يونس، الآية: 101.

[3] – الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي. تحقيق: فخر الدين قباوه، ومحمد نديم فاضل، الطبعة الأولى، عام 1992م، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان– ص 45.

[4] – سورة الأنعام، الآية: 109، وسورة النحل، الآية: 38، وسورة النور، الآية: 53، وسورة فاطر، الآية: 42.

[5] – سورة التوبة، الآية: 62.

[6] – البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن محمد عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت –لبنان– ج 3، ص 43.

[7] – الجمل في النحو، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق، تحقيق: الدكتور علي توفيق الحمد، الطبعة الأولى، عام1984م، دار الأمل، بيروت –لبنان–، ص 72.

[8] – القاموس المحيط، مجد الدين محمد يعقوب، الطبعة الثالثة، عام 1987م، مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان– باب الهمزة، فصل التاء.

[9] – الجمل في النحو، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، ص 71.

[10] – سورة المعارج، الآية: 40.

[11] – سورة النحل الآية: 38.

[12] – سورة المائدة، الآية: 53 .

[13] – سورة الأنعام، الآية: 109.

[14] – سورة النحل، الآية: 38.

[15] – سورة المائدة، الآية: 106.

[16] – سورة المائدة، الآية: 108.

[17] – سورة الواقعة، الآية: 75.

[18] – سورة الحاقة، الآية: 38.

[19] – سورة المعارج، الآية: 40.

[20] – سورة القيامة، الآيتان: 1–2.

[21] – سورة النساء، الآية: 65.

[22] – سورة الحديد، الآية: 29.

[23] – الكشاف، ج 4، ص 350.

[24] – سورة الواقعة، الآيتان 75–76.

[25] – الكشاف، ج 4 ، ص 506.

[26] – سورة الواقعة، الآيتان: 75–76.

[27] – في البيت يقرر امرؤ القيس بعد القسم لابنة العامريّ أنه لن تأتي الساعة التي يدّعى فيها الناس أنه يفر من الوغى، والشاهد فيه دخول "لا" النافية على القسم.

[28] – في البيت يقول غُوَيَّة بن سلمى عاتباً أمامة بأنها عزمت على الرحيل عنه لتحزنه، ولكنه لا يبالي بما صنعت.

المراد من "الاحتمال" الرحيل.

ومعنى البيت بأسلوب آخر إن المحبوبة أميمة قد أعلنت أنها سترحل وتتركني، وقد أعلنت ذلك لتُحزنني، ولكني أقسم إنني لا أبالي ولا أكترثُ بما أعلنت.

[29] – سورة الحديد، الآية 29.

[30] – يذكر الشاعر في هذا البيت أنه سرى في بئر هلاك وضلال لا حور فيه أي لا رجعة فيه، وما شعر أنه تردى فيها، وما علم بما صار إليه أمره.

الصبح جشر معناه: طلع وانفلق الصبح، والحور معناه: النقص والهلاك، والشاهد في البيت زيادة "لا".

[31] – سورة النساء، الآية: 65.

[32] – سورة البلد، الآية: 1.

[33] – سورة البلد، الآية: 4.

[34] – سورة الواقعة، الآية: 75–76.

[35] – سورة الواقعة، الآية: 77.

[36] – سورة النساء، الآية: 65.

[37] – سورة البلد، الآية: 1.

[38] – سورة القيامة، الآية: 1.

[39] – سورة التكوير، الآية: 15.

[40] – سورة الواقعة، الآية: 75.

[41] – سورة الحاقة، الآيتان: 38–39.

[42] – الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال على حاشية الكشاف، ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الاسكندري، الطبعة

الأولى، عام 2008م، دار الفكر، بيروت –لبنان–، ج1، ص 538.

[43] – سورة القيامة، الآية: 1.

[44] – الإعجاز البياني للقرآن، د. عائشة بنت الشاطئ، الطبعة الأولى، ب–ت، دار المعارف، القاهرة –مصر–، ص 182–184.

[45] – سورة النساء، الآية: 65.

[46] – سورة القيامة، الآية: 1–2.

[47] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة السادسة، عام 2014م، شركة الرساله العالمية، بيروت –لبنان– ص 98.

[48] – سورة المدثر، الآيتان: 1–2.

[49] – سورة الطلاق، الآية: 7.

[50] – البقرة، الآية: 83، النساء، الآية: 36، الأنعام، الآية: 151.

[51] – سورة النمل، الآية: 49.

[52] – سورة الحجرات، الآية: 12.

[53] – سورة النور، الآية: 53.

[54] – سورة النحل، الآية: 91.

[55] – سورة الأعراف، الآية: 49.

[56] – سورة النمل، الآية: 49.

[57] – سورة الانشقاق، الآية: 16.

[58] – سورة الأنعام، الآية: 109.

[59] – سورة النمل، الآية: 49.

[60] – سورة الأعراف، الآية: 49.

[61] – سورة النور، الآية: 53.

[62] – سورة النور، الآية: 53.

[63] – سورة الروم، الآية: 55.

[64] – سوة الأحزاب، الآية: 60.

[65] – سورة يوسف، الآية: 14.

[66] – سورة الفجر، الآيتان: 1–2.

[67] – سورة هود، الآية: 1.

[68] – سورة الصافات، الآيات: 1–4.

[69] – مباحث إسلامية، علامة طه الراوي، تحقيق: حارث طه الراوي، الطبعة الأولى، عام 1982م، مطبعة أسعد، –بغداد– ص13.

[70] – سورة الصافات، الآيتان: 166–165.

[71] – سورة الذاريات، الآيات: 1–6.

[72] – التفسير الكبير، ج27، ص195 .